# يائية ابْن شُهَيْد الأندلسي وعلاقتها بأبي جعفر اللمائي

مقدم من الباحثة

نابيـــة ناجي السعيـــدي

درجة الدكتـــوراه

بسم الله الرحمن الرحيم .....وبه نستعين

أنجبت الأندلس الكثير من الشعراء الأفذاذ الذين ذاع صيتهم وأشتهر أمرهم وطفقت الدراسات تدور حولهم ، ويعد **(ابن شُهيد الأندلسي)** أحد هؤلاء الشعراء فقد تميز بالبراعة الأدبية ولاسيما أنه قصر وقته وجهده وطفولته وشبابه وشيخوخته على الأدب يتزود من معينه ، فطرق قديمه وحديثه ، وشعره ونثره ، وحفظ من ذلك الكثير مما حرك ملكته وأنطق لسانه وأجرى قلمه منذ حداثته ، وجعله أنفذ بصرا في نقد الشعر فسطع نجمه في عصور الأدب الأندلسي .

وابن شُهيد شاعر جمع بين السياسة و الأدب ، لانتسابه لعائلة ابن شُهيد المعروفة التي كانت من أكبر وأشهر الأسر الأندلسية في عصر سيادة قرطبة حيث شغلت مناصب سياسية زمن الدولة الأموية ، وحظي أبوه بلقب (ذي الوزارتين) في عهد الناصر حيث كان أول من تلقب به ، وفي الوقت ذاته كان ابن شُهيد "أرسخ أهل الأندلس قاطبة بالأدب " [1] ، أُختلف في نسبه إلا أن الراجح ما أثبته ابن شُهيد نفسه في أبياته التي ذكرها في رسالته التوابع والزوابع عندما قال يفخر بقبيلته أشجع [2] :

مِن شُـهَيْدٍ فـي سِـرِّهَا ثُـمَّ مِـنْ أَشْـــ  جَـعَ فـي الـسِّرِ مِـن لُبَـابِ اللُّبَـابِ

خُطَبَـــاءُ الأَنَـــام إنْ عَـــنَّ خَطْـــبٌ  وأعارِيـــبُ فـــي مُتُـــونِ عِـــرابِ

والمثبت في أخباره أنه أحمد بن عبد الملك، بن أحمد بن عبد الملك، بن عمر بن محمد بن عيسى ابن شُهيد، يكنى بأبي عامر ، ولد في دار النعمان القاطنة في حي المغيرة بقرطبة سنة ٣٨٢هـ ، ونشأ وترعرع في كنف العامريين حيث كان أبوه وزيرا للمنصور بن أبي عامر مقربا إليه ، مما جعل ابن شُهيد يحتك بالأسرة الحاكمة عن قرب ، فانطبعت في ذاكرته الكثير من الذكريات التي جمعته بأفرادها الذين أظهروا له عناية واهتمام منقطع النظير ، وقد ذكر ابن بسام في ذخيرته الكثير من الحوادث التي تدلل على ما حظي به ابن شُهيد من مكانة رفيعة في ظل الدولة العامرية [3] .

وابن شُهيد مع كل ما تميز به من مميزات تفوق بها على أقرانه وخلانه في زمانه إلا أنه لم يحظَ بمثل ما حظي به غيره من الوصول لمنزلة الكتابة في الديوان ، ويرجع ذلك إلى إصابته بالصمم الذي حال بينه وبين استلام هذا المنصب فقد عانى في حياته من الصمم أو الأرجح من ثقل في سمعه. هذا من الناحية الخِلقية أما من الناحية الخُلقية فقد عُرف ابن شُهيد بالإسراف في الكرم ، وكثرة العطاء ، ومساعدة ذوي الحاجة والإغداق عليهم ، وقد أورد ابن دحية لذلك قصة ذكر فيها الرجل الذي قَدِم من طليطلة إلى قرطبة رث الحال منبتّ الحبال لا يملك فتيلا ولا يدرك كثيرا ولا قليلا فأنزل عياله في أحد الفنادق وخرج يسأل عن حرا يستجديه وفاضلا يستهديه فأُرشد إلى ابن شُهيد الذي أحسن استقباله وقدم له من جزيل العطاء ما تعجز الكلمات عن وصفه والمراكب عن حمله [٤] .وقد جمع ابن شُهيد بين الكرم والجود والرأي السديد كما ذكر ابن بسام نقلا عن ابن حيان في قوله (وكان مع ذلك من أصح الناس رأيا لمن استشاره ، وأضلهم عنه في ذاته ، وأشدهم جناية على حاله ونصابه ، وكان له في الكرم والجود انهماك ، مع شرف وبطالة ، حتى شارف على الإملاق ) [٥] . كما كان ابن شُهيد كثير الاعتزاز بنفسه والافتخار بمجد آبائه وأجداده وقد أشار إلى ذلك في نثره[٦] وشعره[٧] ، هذا بالإضافة إلى ميله إلى الفكاهة والهزل ، فقد مزج ابن شُهيد بين الجد والهزل وأخذ من كل منهما بنصيب يقول ابن بسام في وصفه في ذلك ( إن هزل فسجع الحمام ، وإن جد فزئبر الأسد الضرغام ) [٨].

إلا أنه كان كثيرا ما يميل إلى اللهو والمجون وقد اتخذ أعدائه من ذلك ذريعة للطعن فيه كما حدث عندما تعرض لهجماتهم عند علي بن حمود في الدولة الحمودية مما أودى به إلى السجن ، وقد كان لحياته المترفة أكبر الأثر في ذلك التي عكست عليه البطالة وكثرة مجالسة الأصدقاء وليالي الأنس والسمر التي جعلته كما قال عنه الحجاري " كَانَ ألزم للكأس من الأطيار بالأغصان واولع بهَا من خيال الأصل بالهجران"[٩] .

شغل ابن شُهيد منصب الوزارة في الدولة العامرية زمن (عبد الملك المظفر) إلا أنه لم يحظَ بلقب الوزير الكاتب لضعف سمعه كما سبق ، كما شغل الوزارة في الدولة الحمّودية زمن المعتلي (يحيى بن حمّود) ، وفي الدولة الأموية زمن المستظهر ( عبد الرحمن بن هشام ) الذي تولى الحكم سنة ٤١٤هـ، وزمن المعتمد بالله ( هشام بن محمد ) الذي بايعه أهل قرطبة عام ٤١٨هـ ، حيث كان على علاقة طيبة معهما وأحد المقربين إليهما ، ومن المصادفة الغريبة أن كل من يحيى بن حمّود ، وهشام بن محمد توفي بعد وفاة ابن شُهيد بعام واحد أي سنة ٤٢٧هـ .

أما الأدب فهو ميدانه ، وقصب رهانه ، فقد تميز بالبراعة الأدبية وفاق أقرانه وخلانة في ذلك لما تميز به ابنُ شُهيد من قريحة متقدة جعلته من ذوي المواهب المتعددة ، فكان شاعرا نبغ في الشعر وأبدع فيه من طفولته ولا عجب في ذلك لأن بيت بني شُهيد من بيوتات الشعر في الأندلس إلا أن ابن شُهيد كان أوسعهم شهرة ليس في ميدان الشعر فحسب بل في ميدان النثر أيضا فقد ترك الكثير من الكتب والرسائل التي تنطق بالفصاحة والبيان وأكد ذلك ابن حيان عندما وصفه بقوله "وإذا تأملته ولسنه ،وكيف يجر في البلاغة رسنه ، قلت عبد الحميد في أوانه ، والجاحظ في زمانه"(١٠) . كما ذكر ابن دحية في كتابه بعض كتبه حيث قال :" ولهذا الوزير كتب كثيرة الهزل والجد بعيدة عن الحصر والعد منها كتاب التوابع والزوابع ، وكتاب حانوت العطار ، وكتاب كشف الدك، وإيضاح الشك "(١١) .

وقد أثنى ابن بسام على أدبه وامتدحه قائلا : " نظم كما اتسق الدر على النحور ، ونثر كما خلط المسك بالكافور ، إلى نوادر كأطراف القنا الأملود ، تشق القلوب قبل الجلود ، وجواب يجري مجرى النفس ، ويسبق رجع الطرف المختلس "(١٢) .

جُمع شعر ابن شُهيد في ديوان عندما حظي نتاجه الشعري باهتمام عدد من الباحثين في مقدمتهم أحد المستشرقين وهو (شارل بيلات) الذي قام بجهد جبار حين نهض بجمع أشتات آثار ابن شُهيد

المتفرقة في كتب الأدب ، فعني بجمع ما وقع عليه من شعره ، وتصحيح ما لحقه من التحريف والتصحيف ، وأخرجه في ديوانه الذي نُشر في عام ١٩٦٣م ، فأصبح شعر ابن شُهيد لأول مرة في متناول أيدي الباحثين بعد أن كان مغمورا ردحا من الزمن .تبع ذلك محاولة الباحث يعقوب زكي الذي أضاف الكثير من القصائد واستدرك كثيرا من النقص الذي وقع فيه شارل بيلات ، ثم خرج الديوان في المحاولة الثالثة على يد الباحث محي الدين ديب تحت عنوان (ديوان ابن شُهيد ورسائله ) تناول فيه شعر ابن شُهيد ونثره مع دراسة وافية لشخصيته .

وفي دراستنا هذه ترتبط شخصية ابن شُهيد بشخصية أخرى قد لا تكون مشهورة كابن شُهيد في وصول أخبارها إلينا إلا أنها في مرتبة ابن شُهيد منزلة ومكانة في زمانه ، وهي شخصية أبي جعفر اللمائي الذي ذكرت المصادر المختلفة أنه أحمد بن أيوب اللمائي المالقي ، يكنى بأبي جعفر، من أهل مالقة ، ولم يصلنا عن نشأته ما يمكن أن نستفيد منه في دراسة شخصيته لقلة أخباره ، إلا أن الحميدي أورد له أبياتا تدل على أنه نزل في صباه في منازل سلمى التي مر بها قائلا [١٣] :

ألمـــا فـــديتكما نـــستلم منـــازل ســـلمى علـــى ذي ســـلم

منـــازل كنـــت بهـــا نـــازلاً زمـــان الـــصبا بـــين جيـــد وفـــم

أمـــا تجـــدان الثـــرى عـــاطراً إذا مـــا الريـــاح تنفـــسن ثـــم

وقد أصيب اللمائي في أواخر حياته بداء النسمة الذي عجز الأطباء عن علاجه حتى أودى بحياته ، وهو يذكر ذلك عندما دخل عليه بعض أصحابه زائرا له في علته هذه وأخذ يروح عليه فقال[١٤] :

روِّحَنـــي عائـــدي فقلـــتُ لـــهُ مَـــهْ لا تزعجنـــي علـــى الـــذي أجـــدُ

أمـــا تـــرى النَّـــارَ وهـــي خامـــدَةٌ عنـــد هبـــوب الرِّيـــاح تتَّقِـــدُ

كما أشار إلى سقمه ومرضه في قصيدة طويلة يشكو فيها نوائب الدهر مطلعها [١٥] :

أمـــسى سَـــقامي زاجِـــري ومُـــؤنّبي وغَـــدا مَـــشيبي واعظـــي ومـــؤدّبي

توفي اللمائي في مالقة سنة ٤٦٥هـ . ودُفن في حصن الورد – بالقرب من حصن منت ميور – ملجأه في أوقات شدته وبوصية منه بذلك [١٦].

وقد أجمعت المصادر[١٧] على أنه جمع بين منظوم القول ومنثوره . فقد كان أديبا ماهرا ،وشاعرا جليلا ، وكاتبا نبيلا يقول عنه ابن بسام : " كان أبو جعفر هذا [وقته] أحد أئمة الكتاب، وشهب الآداب، من سخرت له فنون البيان، تسخير الجن لسليمان، وتصرف في محاسن الكلام، تصرف الرياح بالغمام "[١٨] . فقد كان كاتبا بارعا وإماما من الأئمة في هذا المجال ، يقول عنه ابن خاقان " إمَام من أئِمَّة الْكِتَابَة ومفجر ينبوعها وَالظَّاهِر على مصنوعها بمطبوعها إِذا كتب نثر الدُّرَر فِي المهارق ونمت فِيهَا أنفاسه كالمسك فِي المهارق "[١٩] . وقد أشار ابن بسام في ذخيرته إلى ضياع الكثير من شعره ونثره[٢٠] ، حيث يبدو أنها فُقدت مع ما فُقد من تراث الأندلس .إلا أنه أثبت في ذخيرته بعضا مما توصل له من شعره [٢١]، ونثره[٢٢] مما يشهد له بالبراعة والإتقان .

هذا وقد أضاف ابن بسام وابن خاقان والمراكشي إلى جانب الأدب الوزارة فقد كان كاتبا لعلي بن حمّود أول الخلفاء الهاشميين بالأندلس مع توليه لأمور الدولة في عهده الذي لم يتجاوز عامين انتقل فيه الأمر بعد ذلك لأخيه القاسم ومن بعده ، وحظي اللمائي بذلك مكانة وشهرة وجلالة عظيمة ، وهو بذلك يلتقي مع ابن شُهيد الذي شغل منصب الوزارة لبني حمّود فترة من الزمن ، مع ما تمتع به من براعة أدبية ، فكلاهما وزير وكاتب ذائع الصيت والشهرة .

❁❁❁

أما بالنسبة لهذه القصيدة ومناسبتها وهي مناط الدراسة فهي تعد اليائية الوحيدة في ديوان ابن شُهيد ، وإحدى قصائده التي نظمها في أواخر حياته بعد أن أقعده المرض في مستهل ذي القعدة من

عام ٤٢٥هـ ، وهو المرض الذي ظل يعاني منه ابن شُهيد إلى أن وافته المنية يوم الجمعة آخر يوم من جمادي الأولى من عام ٤٢٦هـ .

كما تعد هذه اليائية إحدى المراثي الفردية لابن شُهيد التي رثى بها صديقه أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي المالقي ، ومما يلفت الانتباه أن هذه المرثية قالها ابن شُهيد عند سماع خبر وفاة صديقه اللمائي مع أن ابن شُهيد توفي عام ٤٢٦هـ ، واللمائي توفي سنة ٤٦٥هـ .. فكيف رثاه ؟!

ومن هنا فالأمر لا يخرج عن كونه إما لبسا في هذه الشخصية وابن شُهيد يرثي شخصية أخرى ، أو عدم صحة ما وصله من خبر وفاة صديقه ، أو أن ما وصلنا من تاريخ وفاة أحدهما لم يكن صحيحا.

وللتحقق من صحة هذه الشخصية أتطرق لأبرز الشخصيات التي دارت حول اللمائي واتصلت به وكان لها في الوقت ذاته اتصال بابن شُهيد ، وفي مقدمة هذه الشخصيات (علي بن حمّود) الملقب بالناصر ومؤسس الدولة الحمّودية في الأندلس سنة ٤٠٧هـ ، وقد سبق ذكره ، فقد عمل اللمائي كاتبا لديه بالإضافة إلى تدبير أمور ملكه ، في حين أن ابن شُهيد تعرض لتدخل الحساد وهجماتهم التي أفضت به إلى السجن ،إلا أن حكم علي بن حمّود لم يستمر سوى قرابة عامين حتى قتله صقالبة له في الحمام سنة ٤٠٨هـ .

وقد استمر اللمائي في الاضطلاع بأعباء الدولة الحمّودية ،في حين أستقامت أحوال ابن شُهيد زمن يحيى بن حمّود الملقب بالمعتلي وتوطدت علاقته به ، ولم ينقطع اتصاله به حتى بعد أن ترك قرطبة إلى مالقة عندما استولى عمه القاسم عليها ،مرسلا له بقصائد المدح والتهنئة .ويبدو أن اللمائي شغل منصب الوزارة زمن الحموديين فقط ، بينما ابن شُهيد شغل منصب الوزارة في الدولة العامرية ، والحمودية ، والأموية كما سبق وأن أشرت .

ومن الشخصيات التي اتصل بها كل من اللمائي وابن شُهيد ، الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس الذي قتله باديس بن حبوس سنة ٤٢٩هـ، وهذا الوزير مع ما ورد عنه من صفات سيئة تدور حول بخله المنقطع النظير وإعجابه بنفسه الذي جعله ينظر لغيره نظرة التنقيص و التحقير ، وغيرها من الصفات التي فصّلها ابن بسام في ذخيرته [٢٣] ، إلا أن كل من اللمائي وابن شُهيد أختصه برسالة من بعض رسائلهما التي تبرز فيها أثر العناية والجودة ، كان فيها اللمائي مادحاً شاكراً [٢٤] ، وابن شُهيد معاتباً متبرئاً مما لحقه من خصومه [٢٥] .

هذه أبرز الشخصيات المشتركة بينهما التي تؤكد وجود الشخصيتين في زمن واحد،والتي ترجح أن بداية التواصل بين اللمائي وابن شُهيد بدأ زمن الحمّوديين ، يعزز ذلك أن ما وصلنا من أخبار ابن شُهيد ونشأته المترفة في كنف العامريين التي بدأت زمن المنصور بن أبي عامر ، واستمرت زمن ابنه عبد الملك المظفر الذي بلغ ابن شُهيد في عصره رتبة الوزارة ، إلى أن زالت الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩هـ ، لم يرد فيها ذكر لعلاقته باللمائي ،وأخبار اللمائي التي وصلتنا كانت مرتبطة بالدولة الحمّودية ، إضافة إلى أن ابن شُهيد لم يغادر قرطبة زمن العامريين ، فقد كان ابن شُهيد من عشاق قرطبة التي لم يفارقها حتى في أيام نكبتها معتذرا عن دعوة عبد العزيز المؤتمن إلى اللحاق به في بلنسية بعدم قدرته على مفارقة قرطبة لتعلق قلبه بها ، لذا رثاءها رثاء حارا كان إرهاصا لرثاء المدن في الأندلس ، فقد قضى حياته بين جنباتها إلى أن قضى نحبه ، إلا أنه اضطر إلى مغادرتها من أجلها زمن الحموديين متجها إلى مالقة لياجأ إلى يحيى بن حمّود طالبا منه وضع حد للفوضى فيها وذلك بعد أن اعتلى الحكم محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمستكفي بعد أن ثار على عبد الرحمن بن هشام الخامس الملقب بالمستظهر . فبدأ حكمه بانتكيل برجالات الدولة السابقة ، مما جعل ابن شُهيد يتصل بالمعتلي يتظلم من بني أمية ثم لحق به في مالقة برفقة كبار الدولة في عهده واستجاب لهم المعتلي ،مما أدى إلى خروج المستكفي ثارا من قرطبة وتنصيب أهلها أمويا جديدا هو هشام بن عبد

الرحمن سنة ٤١٨هـ الذي بدأ عهده بتعيين ابن شُهيد وابن حزم وزيرين في الدولة ، والحكم بن سعيد حاجبا خاصا به الذي أصبح فيما بعد صديقا لابن شُهيد .

ومالقة هي مقر اللمائي التي ظن يحظى فيها إلى أن توفي ، وبناء على ذلك قد يكون ابن شُهيد التقى باللمائي في هذه الفترة خاصة وأن اللمائي أحد الشخصيات البارزة في مالقة التي لا يستبعد التقاؤه بها في حضرة المعتلي ومجلسه ،ومع ما عُرف به ابن شُهيد من علاقات طيبة مع أصحابه وخلانه أدى ذلك إلى استمرار التواصل بينهما حتى بعد عودته إلى قرطبة .

وللتأكد أيضا من صحة هذه الشخصية وعلاقتها بابن شهيد أتطرق إلى لقب ( اللمائي ) [٢٦] وهو نسبة إلى لماية وهي إقليم من أقاليم كورة ريه بالأندلس [٢٧] ، أو حصن من حصون مالقة كما ذكر ابن سعيد في كتابه المغرب [٢٨]، أنفرد أبو جعفر أحمد بن أيوب بهذا اللقب دون غيره ممن وصلنا ترجمته في القرن الرابع الهجري ، وهذا مما يدل على صحة هذه الشخصية وعلاقتها بابن شُهيد خاصة وقد ورد ذكرها في الأبيات بهذا اللقب في قوله :

أَهْـدَى اللَّمـائِيُّ مِـن أَزْهـارِ فِكْرَتِـهِ نَـشْراً فقـالَ الـدُّجى مَـرَّ اللَّمَـائِيُّ

ومما يؤكد علاقة اللمائي بابن شُهيد ارتباط ذكره عند بعض المترجمين له كالحميدي – وهو أول من تحدث عنه وأخذ عنه الضبي -- بذكر ابن شُهيد له ، الذي لم يذكره إلا من خلال هذه المرثية حيث اقتصر ابن شُهيد في آخر عمره على القصائد التي تدور حول الصداقة والموت ، ويبدو أن اللمائي ليس صديقه فحسب بل كان من أعز أصدقائه ،يؤكد ذلك تحسره عليه في قوله :

لا عِشْتُ إنْ مُتَّ لي يا واحِدي أبداً ومُتُّنا واحِدٌ لا شَكَّ مرثِيُّ

إنَّ الكَـــريمَ إذا مـــا مـــاتَ صـــاحِبُهُ  أوْدَى بِـــهِ الوجْـــدُ وَالثُكْـــلُ الطَّبِيعـــيُّ

هذا بالنسبة لهذه الشخصية وصحتها ، أما بالنسبة لخبر الوفاة فقد تلقى ابن شُهيد خبر وفاة صديقه اللمائي وهو طريح الفراش لإصابته بمرض الفالج في أواخر حياته حيث استمر يصارع المرض قرابة سبعة أشهر أشتد عليه المرض أكثر قبل وفاته بعشرين يوما إلى أن "صار حجرا لا يبرح ولا يتقلب ،ولا يحتمل أن يحرك لعظيم الأوجاع ، مع شدة ضنط الأنفاس وعدم الصبر حتى هم بقتل نفسه " (٢٩) ، وقد رثى صديقه بهذه القصيدة التي قالها بعد انتشار المرض في جسمه و قبل أن تسوء حالته أكثر أشار إلى ذلك في قوله :

فقُـــــلْتُ والسُّقْمُ مَنْشُـــــورٌ يحُـــــفُّ بِهِ الرَّدَى ورِداءُ العَيْـــــشِ
عَلى جَسَـــــدِي
مَطْـــــــــوِيُّ

وقد كان خبر الوفاة بمثابة الصدمة التي أذهلت ابن شُهيد وجعلته يتأرجح بين التصديق والتكذيب لما سمعه خاصة مع معاناته من ثقل سمعه إلا أنه استسلم لهذا الخبر الذي زاده ألماً على ألمه وهو يصرح بذلك في قوله :

إنْ مِتُّ قبْلَـكَ لا تَعْجَـبْ فَـكُلُّ أمَـلٍ  قَـد حُـمَّ مِـن دُونِـهِ يَومـاً حِمَـاميُّ

أوْ مِتَّ قبْلي فما مَنْعَـاكَ لـي عَجَـبٌ  إنَّ الكَـريمَ إلَـى الأصْـحابِ مَنْعِـيُّ

زادَ الـبلاءُ علـى نَفْسِي فأسْلَمَها  صَبْرِي فصَبْرِي عَلَيْكَ اليَـوْمَ وحْشِيُّ

ويبدو أن اللمائي وابن شُهيد كانا متقاربين في وفاتهما وفي مرض الوفاة أيضا فقد توفي اللمائي مصابا بداء النسمة الذي فسره ابن جلجل في طبقاته بـــ(ضيق النفس) ولم يترك اللمائي طريقاً للعلاج إلا وسلكه ولا باباً لطبيبٍ إلا وطرقه طمعا في الحياة دون جدوى ؛ ومع ذلك كان ابن شُهيد أشدَّ حالا منه وأكثر مصابا حيث أصيب بالإضافة إلى داء النسمة بالفالج الذي عانى منه واشتدت معاناته حتى همَّ بقتل نفسه إلا أنه رجع عن ذلك تائبا (٣٠) .

والمريض في المجتمع الأندلسي يحظى باهتمام المقربين منه لذا يتم تمريضه في البيت والعناية به ، وتتكفل الأسرة بتقديم الرعاية اللازمة له لما في ذلك من تماسك عائلي قوي عميق التأصيل في الأندلس يتماشى مع الترابط والتماسك الذي عُرف به أفراد المجتمع ، ولا يُنقل إلى المارستانات منهم إلا الغرباء ومن لا أهل له ، أو من كان مصابا بمرض معدي ، يتطلب عزله في المارستان حتى لا ينتشر مرضه . وابن شُهيد في بداية مرضه كان يقوم إلى حاجته اعتمادا على عصا مرة ، واعتمادا على إنسان مرة أخرى مما يدل على أنه كان في بيته وبين أهله وخلانه .

وقد حظيت عيادة المريض في المجتمع الأندلسي باهتمام كبير ، مع تحديد آدابها وتنظيم أوقاتها ، وارتفع شأنها في المجتمع الأندلسي في القرنين الثاني والثالث إلى أن صارت ترفع من شأن من يحافظ عليها ، لذا كان الوزير ابن حزم يعود المرضى جاريا على طريق الصالحين .

وفي مقدمة عائدي المريض أصدقائه وأصحابه ، وقد ذكر كل من اللمائي وابن شُهيد الأصحاب في قصائده وعند وفاته ، بل إن ابن شُهيد قصر قصائده في آخر حياته -بجانب ذكر الموت - على الأصدقاء كما سبق أن أشرت ، وبالتالي هم يعدون مصدر رئيسي لوصول الأخبار إلى المريض ومنفذ طبيعي له على العالم الخارجي .

واللمائي حسب ما وردنا من أخباره أنه كان على علاقة طيبة بالقاضي محمد بن إسماعيل بن عباد المتوفي سنة ٤٣٣هـ ،وقد ذكر ابن بسام في ذخيرته بعض رسائله إليه [٣١] ، كما ذكر المراكشي في الذيل والتكملة شخصية أخرى وهو أبو محمد غانم بن وليد المخزومي المالقي أحد العلماء المتفرسين والأئمة المجودين جمع بين الفقه والأدب حتى أصبح إماما لأهل الأندلس في زمانه ، ذكر المراكشي أنه زار اللمائي في علته التي مات منها ، وهذه الشخصية لم تذكر المصادر تاريخ وفاتها [٣٢] ، وأعتقد أن هناك الكثير من الأصحاب الذين لم تذكرهم المصادر أو ذكرتهم وفُقدت مع ما فُقد من أخباره .

إلا أن من الواضح أن أصحاب اللمائي من أشراف القوم وسادتهم ومن ذوي الشأن والمكانة الرفيعة في المجتمع مثلهم مثل أصحاب ابن شُهيد وفي مقدمتهم الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم الذي تربطه بابن شُهيد علاقة صداقة متينة فصّلها ابن خاقان في كتابه [٣٣] ، بالإضافة إلى صلته القوية بابن عمه الوزير الأديب والعالم الفقيه أبي محمد بن حزم الذي كان يقارضه الشعر ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي الذي زاره في بداية علته ..وصديق آخر اسمه عمرو أشار إليه ابن شُهيد في أبياته حين خصه بأزكى السلام ، وغيرهم .

وبالتالي أستبعد أن يكون خبر الوفاة كاذبا ولاسيما أن شخصية اللمائي شخصية مشهورة ارتبطت بمجالس الولاة والخلفاء يصعب نشر هذا الخبر عنها ، كذلك ابن شُهيد تمتع بشخصية فذة طبقت شهرتها آفاق الأندلس وغيرها ، فكلاهما من كبار رجال الدولة في عصره يصعب نقل الأخبار المزيفة بينهما ، خاصة وأن ابن شُهيد وثق هذا الخبر بهذه القصيدة التي ما كان له أن ينظمها لولا تحققه من الخبر ، فابن شُهيد بالرغم من مرضه إلا أنه يتمتع بذهن متفتح وقريحة متوقدة وحيوية شعرية غير عادية.

بقي أن نتساءل عن صحة تاريخ الوفاة فإما أن يكون تاريخ وفاة ابن شُهيد غير صحيح أو أن تاريخ وفاة اللمائي لم يكن صحيحاً.

بالنسبة لابن شُهيد فقد أجمعت المصادر[٣٤] التي ترجمت له أنه توفي عام ٤٢٦هـ ، وذكر الحميدي في جذوة المقتبس وهي أقرب المصادر لزمن ابن شُهيد[٣٥] أنه تلقى خبر وفاته مشافهة من أحد الأشخاص الذين ربما أدركوا ابن شُهيد أو كان أحد المشيعين له عند وفاته ، وذلك في قوله في ترجمة ابن شُهيد : " قال لنا أبو محمد علي بن أحمد أنه مات يوم الجمعة آخر يوم جمادي الأولى ٤٢٦هـ ، وقد دفن يوم السبت ثاني يوم من وفاته في مقبرة أم سلمة وصلى عليه جهور بن محمد بن جهور أبو حزم " [٣٦] ، وهذا مما يؤكد صحة تاريخ وفاته .

أما تاريخ وفاة اللمائي فقد ورد عند المراكشي فقط ونقل عنه ابن الخطيب [٣٧] ، مما يرجح أن يكون خاطئا خاصة مع ما سبق ذكره من صحة الفرضيات السابقة ، الأمر الذي يستلزم تحديد تاريخ الوفاة أو على الأقل التاريخ الأقرب لوفاة اللمائي .

فحسب ما ورد في المصادر المختلفة التي ترجمت للمائي أو ذكرت هذه الشخصية فإن أغلب المصادر لم تذكر تاريخ الوفاة باستثناء ما ذكره المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة وما ورد عند ابن الخطيب الذي نقل عنه في الإحاطة وهما كتابان متأخران بينهم وبين زمن اللمائي ما يزيد عن ثلاثمائة عام ، وبالتالي قد يكون اللبس في التاريخ وقع عند المراكشي وتبعه في ذلك ابن الخطيب .

أوقد يكون تاريخ وفاة اللمائي ورد خطأ في ذخيرة ابن بسام في إحدى نسخها التي لم تنقح ، حيث رجح الباحث حسن يوسف أن ابن بسام استصدر نسخة أخرى من ذخيرته تمت بعد عام ٥٢٥ه أي بعد وفاة التطيلي لأنه ذكر في الكتاب أنه ألفه سنة ٥٠٠ه لكنه أورد ترجمة الشاعر أبو جعفر

**ملحـــــــــــــــق ـ قصيدة ابن شُهَيْد (في رثاء المائي) : (٣٩)**

أمِـــن جَنـــابِهمُ الـــنَّفْحُ الجَنُـــوبِيُّ ... أسْرَى فصاكَ بـه فـي الغَـوْرِ غـارِيُّ

أهْـــدَى إلـــيَّ ظَلامـــاً رَدْعَ نافِجَـــةٍ ... أدْمـــاءَ شَـــقَّ بهـــا الـــدَّأماءَ هنْـــدِيُّ

واللَّيْـــلُ قـــد قـــامَ فـــي أثْـــوابِ نادِبَـــةٍ ... كأنَّـــهُ فَـــوْقَ ظَهْـــرِ الأرْضِ نُـــوبِيُّ

والـــنَّجْمُ تحْـــسَبُهُ قـــدَّامَ تابِعِـــهِ ... حَمامَـــةً رامَهـــا فـــي الجَـــوِّ بـــازِيُّ

وجَـــدْوَلُ الأُفْـــقِ يَجْـــرِي فـــي مَنافِســـهِ ... ماءٌ سَـــقَى زَهْـــرَةَ الخَـــضْراءِ فِـــضِيُّ

فقُلْـــتُ والـــسُّقْمُ مَنْـــشُورٌ عَلَـــى جَـــسَدِي ... يخْـــدُو الـــرَّدَى ورِداءُ العَـــيْشِ مَطْـــوِيُّ

أهْـــدَى اللَّمـــائِيُّ مِـــن أزْهـــارِ فِكْرَتِـــهِ ... نَـــشْراً فقَـــالَ الـــدُّجى مَـــرَّ اللَّمَـــائِيُّ

فقِيـــلَ مـــاتَ فقَـــالَ اللَّيْـــلُ قـــارِبَ ذا ... فانْهَـــلْ بـــنَ مُقْلَتَـــي نَـــوْءٌ سِـــماكِيُّ

وبِـــتُ فَـــرْداً أُنـــاجِي مُقْلَتِـــي شَـــغَفاً ... كـــأَنَّني فـــي نُقُـــوبِ الـــدارِ جِنِّـــيُّ

لا عِـــشْتُ إِنْ مِـــتَّ لِـــي يـــا واحِـــدِي أَبَـــداً ... ومَوْتَتـــا واحِـــدٌ لا شَـــكَّ مرئِـــيُّ

إِنَّ الكَـــرِيمَ إِذا مـــا مـــاتَ صـــاحِبُهُ ... أَوْدَى بِـــهِ الوجْـــدُ وَالثُّكْـــلُ الطَّبِيعِـــيُّ

إِنْ مِـــتُّ قَبْلَـــكَ لا تَعْجَـــبْ فـــذُو أَمَـــلٍ ... قـــد حُـــمَّ مِـــن دُونِـــهِ يَوْمـــاً حِمَـــامِيُّ

أَوْ مِـــتَّ قَبْلِـــي فمـــا مَنْعَـــاكَ لِـــي عَجَـــبٌ ... إِنَّ الكَـــرِيمَ إِلَـــى الأَصْـــحابِ مَنْعِـــيُّ

زادَ الـــبلاءُ علـــى نَفْـــسِي فَأَعْـــدَمَها ... صَبْرِي فصَبْرِي عَلَيْـــكَ اليَـــوْمَ وحْـــشِيُّ

حتَّـــى أَهُـــمَّ بقتلـــي كُـــلَّ داجِيَـــةٍ ... يـــا قَـــوْمِ هـــل رامَ هـــذا قَبْـــلُ إِنْـــسِيُّ

إِنِّـــي إِلَـــى اللَّـــهِ مِـــن عُقْبَـــى بُلِيـــتُ بهـــا ... جَـــرَى بهـــا الحُكْـــمُ والأَمْـــرُ الإِلهِـــيُّ

❁❁❁

- المغرب في حُلى المغرب – لابن سعيد المغربي الأندلسي – حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف – دار المعارف بمصر